



ISSN: 1817-6798 (Print)

Journal of Tikrit University for Humanities

available online at: <http://www.jtuh.tu.edu.iq>
JTUH
 مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية
 Journal of Tikrit University for Humanities

**Dr. Biasm Nadhim
Sulaiman**
**Kirkuk University Faculty of
Education**

* Corresponding author: E-mail: اميل الباحث

Keywords:In
fi
C
M
F**ARTICLE INFO****Article history:**

Received 25 May, 2021

Accepted 7 Dec 2021

Available online 25 Mar 2022

E-mail

journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.iqE-mail : adxxxx@tu.edu.iq

Journal of Tikrit University for Humanities

The Manifestations of the Self and the Other in the Poetry of Olayya Bint Al-Mahdi

A B S T R A C T

In my study, I dealt with the dualism of the self and the other in the poetry of Aliya bint al-Mahdi, to shed light on the poetry of the Abbasid feminist Al-Harir.

One of the results of the research is the division of the self into several different types, such as the sad self, the lover, the lover, the ostentatious, the humiliated, the fearful and the sick.

The poet's vision did not go beyond the duality of pleasure and pain, as it reflects pain and pleasure through herself and her vision of the other, and did not hint at the deep philosophical visions of the poet.

The poetess is characterized by poetic shortness of breath through passages, most of which are short. Among her most prominent artistic Features is the prevalence of contradiction, repetition, call, exclamation, simile and sensual images, clear language and easy structures © 2022 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: <http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.29.1.3.2022.07>

تجليات الذات والآخر في شعر غليّة بنت المهدي

أ.م. د. باسم ناظم سليمان / جامعة كركوك / كلية التربية

الخلاصة:

تناولت في دراستي ثنائية الذات والآخر في شعر غليّة بنت المهديّ لإلقاء الضوء على شعر الحرائر النسويّ العباسيّ وبيان دور المرأة العربية في الأدب، وتكونت الدراسة من تمهيد لبيان مفهوم الذات والآخر وسيرة الشاعرة ومبحثين خصصت الأول لمظاهر الذات والثاني لمظاهر الآخر.

من نتائج البحث انقسام الذات على أنواع عدة متباينة كالذات الحزينة والعابثة والعاشقة والمتباهية والذليلة والخائفة والسقيمة. وتمثلت أنماط الآخر عبر الرجل كالمعشوق والقريب والعاذل والواشي وعبر المرأة كالمعشوقة والمرفوضة المذمومة. إنّ رؤية الشاعرة لم تتجاوز ثنائية اللذة والالم فهي تعكس ألمها

ولذتها عبر ذاتها ورؤيتها للآخر.

ولم ألمح الرؤى الفلسفية العميقة لدى الشاعرة فلقد اتسمت رؤيتها بالضيق والذاتية وطابع الحزن والخوف بالرغم من جرأتها أحياناً في اللاشعور؛ وسبب ذلك خوف مكانتها الاجتماعية ونسبها العباسي. وتتسم الشاعرة بقصر النفس الشعري عبر مقطعات اغلبها نعت. ومن أبرز سماتها الفنية شيوع التضاد والتكرار والنداء والتعجب والصور التشبيهية والحسية وبلغة واضحة وتراكيب سهلة.

التمهيد

أ - مفهوم الذات والآخر :

تدلُّ الذات على النفس والجسد فهي الكيان وقد قيل (الذات النفس والشخص، يقالُ ذاتُ الشيء نفسه وعينه والنسبة إليه ذاتي والذاتُ أعمُّ من الشخص لأنَّ الذاتَ يطلقُ على الجسم وغيره والشخص لا يطلقُ الا على الجسم)^(١).

ولا يمكنُ الإحساسُ بالذاتِ دونَ وجودِ الآخرِ، لأنهما مترابطان من حيثُ الفاعلية والتأثر والتأثير ف (لا يتمُّ الوعيُ الوجوديُّ بالذاتِ كما لا يتمُّ بناؤها وتطورها إلا من خلالِ الآخرِ بأدراكه الوعيُّ به بتفسيرِ دوره ومفاوضة مكانته وبالصراع المستمرِّ معه سواء أكان ذلك الآخرُ حقيقةً أم خيالاً ومهما كان بعيداً نائياً أو قريباً)^(٢).

أما الآخرُ فيدلُّ على كلِّ ما هو خارجُ ذاتِ الفردِ إنَّ الآخرَ (other) يعني (مجموعة من السمات - السلوكيات - الاجتماعية والنفسية والفكرية التي ينسبها فردٌ - ذاتٌ أو جماعة ما - إلى الآخرين)^(٣).

وترتبطُ صورةُ الذاتِ بصورةِ الآخرِ ولا يمكنُ عزلهما عن بعضٍ فهما يرتكزان على بعضهما و (لا وجودُ أنا دونَ وجودِ آخرٍ واستخدامُ أيٍّ منهما يستدعي صورةَ الآخرِ فصورتهما عن ذاتنا لا تتكوَّنُ بمعزلٍ عن صورةِ الآخرِ لدينا)^(٤).

إنَّ الذاتَ والآخرَ قطبانِ يكملُ أحدهما الآخرَ ويستمدانِ القيمَ الفكرية والاجتماعية من بعضهما لذلك ما زلنا نستحضرُ الآخرَ فنقول هذا محمودٌ مُستحبٌ وذاك مذمومٌ مكروهٌ بسببِ انتماء الفردِ الى منظومة إجتماعية تحدّدُ سلوكه وتحكمُ عليه بالرفض أو القبول.

ب - سيرة غلية بنت المهدي (١٦٠هـ - ٢١٠هـ) :

هي أختُ الخليفة الرشيد. أمُّها مكنونة أُشتريت للمهدي بمائة ألف درهمٍ وكانت عليه من أظرف النساء وأعقلهن تزوجها موسى بن عيسى بن موسى بن محمد العباسي وكان الرشيدُ يبالغُ في أكرامها واحترامها. عاشت خمسين سنةً وتوفيت سنةً عشرٍ ومائتين بعدما سلّم عليها المأمونُ وضمَّها إليه وجعلَ يقبلُ رأسها ووجهها مغطى ثم حمّ وماتت لأيامٍ يسيرة^(٥). وعُليّةُ أديبةٌ وشاعرةٌ تحسُنُ صناعةَ الغناءِ كانَ أخوها إبراهيمُ بن المهدي يأخذُ الغناءَ عنها. وكانَ في جبينها اتساعٌ يشينُ وجهها فاتخذتُ عصابةً مكلّلةً بالجواهر لتسترَ جبينها وهي أولُ من اتخذها. كانتُ أكثرَ أيامٍ طهرها مشغولةً بالصلاةِ ودرسِ القرآنِ فإذا لم تُصلَّ اشتغلتُ بلهوها وكانَ أخوها الرشيدُ يبالغُ في إكرامها ويُجلّسها معه على سريرهِ وقد لا يكونُ من التاريخ ما يقالُ عن صلتها بجعفر بن يحيى البرمكي. لها ديوانٌ شعرٍ وفي شعرها ابداعٌ وصنعةٌ. مولدها ووفاتها ببغداد^(٦).

المبحث الأول

الذات

تتصدرُ الذاتُ الحزينةُ أشعارَ عليّة بنتِ المهدي كقولها^(٧) [من الكامل]:

لا حزنَ الآ دُونَ حزنٍ نالني يومَ الفراقِ وقد غدوتُ مودّعا
فإذا الأحبةُ قد تولّت عيُزهم وبقيتُ فرداً والهأ متوجّعا

يتمظهرُ حزنُ الشاعرةِ الشديد بعدما ابتعدَ عنها ورحلَ الآخرُ - الأحبةُ - لتتألمَ وحيدةً ونلمح مدى الألم الذي تُعاني منه الشاعرةُ. ويُمكنُ جمعُ دلالاتِ الحزنِ ضمنَ النسقِ الآتي :

الفراق - مودّعا - تولّت - فرداً - والهأ - متوجّعا. واستعانتِ الشاعرةُ بصيغةَ - النفي - لا - والاستثناء - إلّا - لتعلنَ حزنها مستعينةً بسرعةِ البحرِ الكاملِ وروي العينِ الحلقِيّ لتجسّدَ عمقَ حزنها.

وقالت^(٨) [من الرمل المجزوء] :

فرّجا كربي قليلا فلقد صرتُ نَحِيلا
إفعلوا في أمرٍ مشغو فِ بكم فعلاً جميلاً

تعكسُ الشاعرةُ ذاتها الحزينةَ وشدةَ مصابِها لتطلبَ بصيغةَ الأمرِ: فرّجوا - افعلوا مخاطبةً الجماعةَ للتمويه والتوريةِ وطلباً لتخفيفِ كربتها وحزنها وعبرتُ صيغةَ الفعلِ الماضي - صرتُ - عن سوءِ الحالِ وتدهورها بعد الوهنِ والعناءِ والضعفِ.

وقالت عُليّة^(٩) [من الكامل]:

أشكو انفرادي بالهموم ووحشتي لفراقكم وصبابتي وحنيني
وتلقتي كيما أراك وما أرى إلا خيالا مُذكراً يؤذيني

تصورُ الشاعرة مدى تحملها الأحزانَ وشوقها وحنانها وبحننها عن الحبيب الذي أمسى خيلاً وحلماً وتضمنَ نسقَ الذاتِ الألمَ والحزنَ عبرَ دلالةِ الكلماتِ : أشكو - انفرادي - بالهموم - ووحشتي - لفراقكم - صبابتي - حنيني - تلقتي - يؤذيني للتعبيرِ عن الكبتِ والألمِ والوجدِ ونلمحُ في شكوها (ثقلَ وطأةِ الناسِ والمجتمعِ عليها وهي امرأةٌ وهي أختُ الخليفةِ لايباحُ لها ولا يقبلُ منها أنْ تردّدَ اسمَ من تحبُّه لخوفها ممن حولها (...)) ولعلّية بنتُ المهديّ معانٍ رائعةٌ في هذا الغرضِ وجلُّ شعرها تشييدٌ حزينٌ من الأناشيدِ التي تعبرُ فيها المرأةُ عن أساها في كبتها وحرمانها ويأسها^(١٠)

وقالت^(١١) [من الرمل المجزوء]:

ألبسِ الماءَ المُداما واسقني حتّى أناما

عبّرتُ الشاعرةُ عن ذاتها العابثةِ اللاهيةِ طالبةً الخمرَ عبرَ صيغِ الأمرِ الموجهةِ إلى الساقِي : ألبسِ - إسقني وبحرِ الرملِ المجزوء الذي أضفى الحيويةَ والسرعةَ فضلاً عن روي الميمِ الشفويّ الموسيقيّ لعلّها تهربُ من آلامها وتخلدُ الى النومِ وهي توافقُ الحبيبَ فيما يحبُّ ويكرهُ ونلمحُ في البيتِ الشعري أثرَ المجونِ واللّهوِ واللذةِ والخمرِ كما شاع في العصرِ العباسي وقالت^(١٢) [من السريع]:

حرمتُ شربَ الراح اذ عفتها فليستُ في شيءٍ أعاصيكِ
فلو تطوّعتِ لعوضتني منه رضابُ الريقِ من فيكِ

تتمظهرُ الذاتُ العاشقةُ عبرَ موافقةِ الحبيبةِ وطاعتها كتحريمِ تناولِ الخمرةِ وارتشافِ ريقها بدلاً من ارتشافِ الخمرةِ بحثاً عن اللذةِ والراحةِ بالقربِ من الآخرِ المذكر الذي خاطبتهُ الشاعرةُ بضميرِ المؤنثِ وعبّرتِ المرأةُ في العصرِ العباسي عن مشاعرها وعن (الترفِ والتمتعِ بمظاهرِ الحضارةِ لاسيما الشريقاتِ منهنَّ فأصبحَ لهنَّ مجالسَ أدبٍ وشعرٍ واقتربتِ المرأةُ من الشعراءِ متذوقة وراوية)^(١٣).

وقالت عليّة^(١٤) [من البسيط] :

لو كان يمنع حسنُ الوجهِ صاحبه من أن يكونَ له ذنبٌ الى أحدٍ
كانت عليه أبدي الناسِ كلهم من أن تكافأ بسوءِ آخر الأبدِ

تتمركز الذات المتباهية في صدر البيت الأول للتعبير عن جمال الشاعرة وحسنها لكنها ترى أن الآخر يقابل هذا الحسن بالإساءة والجمال بالقبح وقد وظفت الشاعرة حرف الشرط والإمتناع - لو - في مستهل البيت للتعبير عن نرجسيتها وبيان معاناتها وعدم الأحسان إليها.

وتمثلت الذات الذليلة في قولها^(١٥) [من الطويل]:

أذل لمن أهوى لأدرك عزة وكم عزة قد نالها المرء بالذل

ترى عليه أن الذلة والهوان من أجل الآخر الحبيب خير وسيلة لنيل العز والكرامة فهي تتسلل بعذاب البعد عن الحبيب للحصول على ما تهوى وهو طلب العزة عند القرب من المحبوب ونلمح عبر بوح الذات ملامح الماسوشية - التلذذ بالعذاب - كوسيلة لجأت إليها الشاعرة للتعبير عن حرمانها وكتبها النفسي.

وعبرت عليه عن ذاتها الخائفة [من الخفيف] :

ليت شعري متى يكون التلاقي قد براني وسل جسمي اشتياقي
غاب عني من لا أسميه خوفاً ففؤادي معلق بالتراقي^(١٦)

تتمحور الذات الخائفة في الشطر الأول من البيت الثاني اذ تصوّر عليه شدة خوفها وقلقها ؛ لغياب الآخر - الحبيب - وهي تشتاق الى يوم الذي تلتقني فيه بمن تحب بعدما أمتت عليه ضعيفة لكنها لا تستطيع ذكر اسمه لخوفها من الوشاة والحساد فالمرأة في مجتمع الشاعرة لا يمكنها التعبير والبوح بما تحب وتكره فإن (مشاعر الحب والكراهية عند المرأة يجب أن تكبت أو تظهرها على النحو المقبول اجتماعياً فقط، إنها يمكن أن تظهر كراهيتها للخادمة التي عندها مثلاً. وأن تعبر عن هذه الكراهية بعدوانية يقبلها المجتمع، ضرب الزوجات للخدمات مقبول اجتماعياً ولكنها يجب أن تكبت كراهيتها لزوجها أو أبيها أو رئيسها أو أي رجل آخر في موضع السلطة و في طبقة أعلى. وهذا يحدث ايضاً في حالة مشاعر الحب فهناك حب محرم على المرأة أن تظهره وهناك حب يجب على المرأة أن تتألف في اظهاره كحبها لأطفالها وتغانيها في خدمة زوجها أو أبيها أو افراد الأسرة)^(١٧).

ووصفت الشاعرة ذاتها السقيمة^(١٨) (من الطويل) :

أرى جسدي يبلي وسقمي باطن وفي كبدي داء وقلبي سالم
فما السقم الا دون سقم أصابني ولا الجهد الا والذي بي أعظم

تتجلى لنا الذات السقيمة المعذبة عبر تتابع الدلالات الطبية والمعجم الجسدي : سقم - كبد - داء - قلبي - التي توزعت في البيتين لتشكو الشاعرة من هموم مكبوتة ومشاعر مخيفة تخجل من إعلانها كما صورت عليها نفسها المملة^(١٩) [من البسيط]:

أني كثرت عليه في زيارته فملّ والشيء مملول إذا كثراً

ورابني منه أنني لا أزال أرى في طرفة قصر عني إذا نظراً

تظنّ الشاعرة أنّها أصبحت مملّة لأنّها اكثرت من زيارة الآخر - الحبيب - ومما أقلقها وبعث في نفسها الخوف اعراضه عنها وعدم النظر إليها فلقد انتابها الشك والوهم لذلك وظّفت الشاعرة صيغة الفعل المزيد - كثرت - الدالة على المبالغة لبيان كثرة زيارتها له. وتمثلت الذات الصائرة في قولها^(٢٠) [من السريع]:

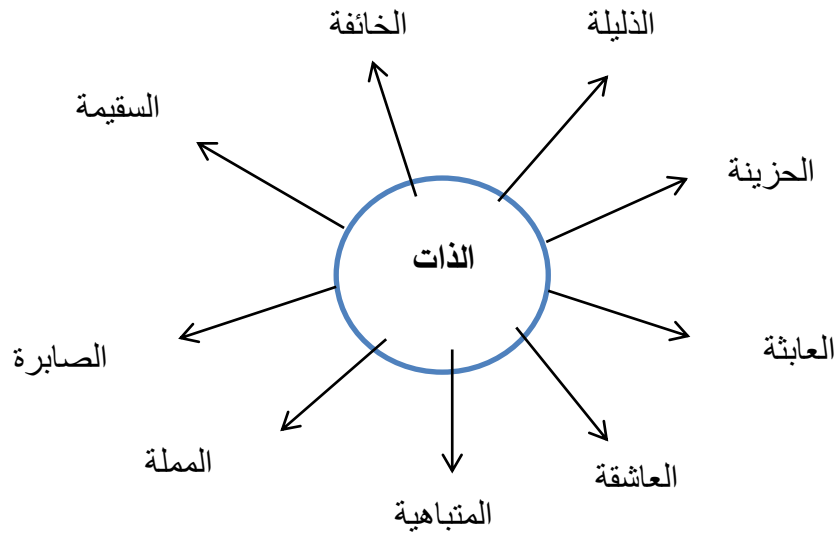
صبرت حتى ظفر السقم بي كم تصبر الحلفاء للنار

لولا رجائي العطف من سيدي بقيت بين الباب والدار

تسرّد عليها مدى احتمالها وصبرها لأجل الحبيب - الآخر - الغائب البعيد حتى انتابها المرض وكادت تحترق مشبهة ذاتها بنبته الحلفاء سريعة الاشتعال. وهي تأمل عطفه وحنانه واللقاء به لذلك دخلت الدار صابرة وقد تركت المكوث خلف الباب والعناء لرؤيته ولقياه و(لا تكتفي عليه بالتعبير عن حرمانها بل تزداد تحملاً في هواها فلا تفصح بالبكاء ولا تعبّر من خلاله عن مشاعرها تجاه الحبيب مكثفة برؤيته في قلبها الذي لمضه الحب وكواه حتى الصميم)^(٢١) .

إن تعبير الشاعرة عن ذاتها واحساسها بالآخر المذكر يماثل تغزل الشعراء الذكور بالغلman وقد شاعت هذه الظاهرة بعد انفتاح المجتمع العباسي على الآخر غير العربي وغير المسلم وكثرة العبيد والجواري والتحلل الديني والحرية فإنّ (التغزل بالمرأة كان أطاراً واسعاً والتغزل بالمذكر كان أطاراً ضيق وتغزل المرأة بالرجل المتأنت في العصر العباسي كان يدور في فلك تغزل الشعراء بالمذكر فالمرأة جارت الرجل في تغزله بالغلman)^(٢٢) .

والترسيمة الآتية تبين انقسامات الذات المتمثلة في شعر عليّة :



المبحث الثاني الآخر

أولاً - الآخر الرجل :

يشغلُ الرجلُ حيزاً كبيراً في خطابِ عليّة بنتِ المهديّ عبر العناصرِ الآتية : -

أ - الحبيب : أكثرُ عليّة من الغزلِ بالآخرِ المجهولِ وقد شغلتُ هذه الظاهرةُ النقّادَ والدارسينَ لما فيها من جرأة^(٢٣) [من السريع]:

يا ربّ ما هذا من العيبِ	القلبُ مشتاقٌ إلى ريبِ
إلاّ البكا يا عالمَ الغيبِ	قد تيمّنتُ قلبي فلم استطعُ
أردئته كالحبّ في الجيبِ	خبأتُ في شعري ذكرَ الذي

يعلنُ الآخرُ حضوره عبرَ شخصيةِ ريب - المعشوق - إذا استعانتِ الشاعرةُ بأسلوبِ النداء والتشبيهِ مخترقةً الضوابط والأعراف الاجتماعية وتؤكدُ أنّ هذا البوح تجاه الآخر ليس عيباً لذلك لجأتُ الى البكاءِ شاكيةً معاناتها الى الخالقِ العالمِ بخفايا النفسِ وهي ترفضُ اعلانَ اسم الآخرِ المعشوقِ على العكسِ من الغزلِ الذكوري الذي تمثّل بإعلان اسم الحبيبة عبر مختلف العصور الأدبية وقد وظفت اسلوبَ الكناية لإخفاء اسم الآخر الحبيب (ويحكى عن عليّة أنها كانت تختصّ خادماً آخر لها يدعى رشاً وتقولُ فيه الشعرَ ولكنها كانت تكنّى عنه مرةً بزئبب ومرةً بريب)^(٢٤) . ونحسُ أنّ في ثنايا الأبيات جرأةً وخرقاً للقيم والعادات الموروثة في المجتمع إذ أصبحت المرأةُ الشاعرةُ الحرّةُ هي العاشقةُ التي تبوح

بمشاعرها بلا وجل ولا حياءٍ ففي العصورِ الماضية ارتضتِ المرأة (أن تكونَ المعشوقةَ التي يتقدمُ اليها الرجلُ بأبياتٍ غزليةٍ طالباً ومتمناً وصالها كما أن الرجلَ امتثلَ لهذا التقسيم فقال الغزلُ وتشوقُ الى الحبيبة وتمنى وصالها^(٢٥) . فالتكوينُ النفسي للمرأة قد جعلها مهياً لكبتِ عاطفةِ الحبِّ لسنواتٍ وفي ذلك يؤكدُ الجاحظُ ان المرأةَ يمكنها أن تحبَّ (أربعينَ سنةً وتقوى على كتمانِ ذلك وتبغضُ يوماً واحداً فيظهرُ ذلك بوجهها ولسانها . والرجلُ يبغضُ أربعينَ سنةً فيقوى على كتمانِ ذلك وإن أحبَّ يوماً واحداً شهدت جوارحه^(٢٦) .

إن صورةَ الآخرِ الرجلِ تمثّلُ تحولاً فكرياً وعاطفياً في الأدبِ النسويِّ العباسيِّ إذ كانَ عشقُ (السيدةِ غلامها بدعةً لا نراها قبلَ شعرِ عليّةِ ثم وُجدتْ بعدَ ذلك (....) بسببِ التحضرِّ العباسيِّ وأجواءِ القصورِ المترفةِ التي نشأ فيها حبُّ الغلمانِ وتقليدِ الجوّاري للغلمانِ بما يعكسه من تغيُّرِ اخلاقي وذوقي جعل صورةَ الحبيبِ تتغيّرُ أيضاً وتميلُ الى الأنوثة^(٢٧)) ويتمثلُ الآخرُ العاشقُ في رؤيةِ الشاعرةِ^(٢٨) [من السريع :

حقُّ الذي يعشقُ نفسينِ أن يُصلبَ أو ينشرَ بمنشارِ
وعاشقُ الواحدِ مثلُ الذي أخلصَ دينَ الواحدِ الباري

ترفض عليّةُ سلوكَ الآخر - الرجل - الذي يعشقُ ثانيةً أكثرَ من مرة فهو لا يستحقُّ سوى التعذيبِ والموتِ ونستعينُ بمرجعيةٍ دينيةٍ لدعمِ حجتها وتبدو الشاعرةُ في غايةِ القسوةِ ولعلَّ هذا مرجعهُ الحقدُ على الذكورِ كلهم ومنهم الحاضر - المعشوق - والمغيَّبُ في الخطابِ وهو الألبُ المهديُّ الخليفةُ العباسيُّ الذي ملكَ الحرائرَ والجوّاري ومن الجانبِ النفسي تخشى وترفضُ أن تشاركها أنثى في مودةٍ أي رجلٍ خشيةً من فقدانِ الصداقةِ فلقد كانتُ مكنونةً أم عليّة جاريةً مغنيةً معروفةً بالجمالِ فاشتراها المهديُّ ابن المنصورِ وكتّم أمرها عن أبيه حتى ماتَ وصارَ هو خليفةً بعدهُ وكانت عنده الخيزرانُ فاستولتُ عليه واستأثرتُ به فكانت الخيزرانُ تقولُ ما ملكَ المهديُّ امرأةً أغلظَ عليّ من مكنونة^(٢٩) وهي تجهُرُ باسم الحبيبِ دون خوفٍ أحياناً [من السريع :

قد كانَ ما كُلفته زماً يا طلُّ من وجدٍ بكُم يكفي
حتى أتيتك زائراً عجباً أمشي على حَتفي الى حَتفي^(٣٠)

تتحولُ الشاعرة من الزمنِ الماضي - كان - الى الزمنِ الحاضر - أمشي - لبيانِ حبِّها للآخر - طل - عبر ثنائيةِ الماضي والحاضر والذاتِ والآخر والبوحِ والكتْمِ والرفضِ والقبولِ لتصورَ الشاعرة حاجتها الى الآخرِ الرجلِ وأحسُّ أنَّ في شعرها (مرارةَ الكبتِ والحرمانِ والمُح فيه آياتِ اليأسِ (...) لقد

كَانَ قَلْبُهَا يَفِيضُ بِالْحَبِّ إِلَّا أَنَّهَا وَهِيَ بِنْتُ السُّلْطَانِ وَالْجَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَبُوحَ بِاسْمِ مَنْ تَحَبُّ وَلِهَذَا رَأَيْنَاهَا كَثِيرًا مَا تَكْفِي عَنْ حَبِيبِهَا بِاسْمِ فَتَاةٍ فَهِيَ مَرَّةً تَسْمِيهَا رِشًا وَمَرَّةً زَيْنَبَ وَمَرَّةً سَلْمَى وَأُخْرَى طَلَّ (٣١) .

ويندرُ وصفُ الملامحِ الشكليةِ للآخرِ الرجلِ في شعرِ عليّةِ وقد رصدنا مقطعةً واحدةً (٣٢) [من الرمل المجزوء]:

قُلْ لَذِي الطَّرَةِ وَالْأَصْدِ دَاغٍ وَالْوَجْهِ الْمَلِيحِ
وَلَمَنْ أَشْعَلَ نَارَ الْ- حَبِّ فِي قَلْبٍ قَرِيحِ
مَا صَحِيحٌ عَمِلَتْ عَيْنَاكَ فِيهِ بِصَحِيحِ

تطلبُ الشاعرةُ من المخاطبِ بصيغةِ الأمرِ - قُلْ - لأبلاغِ الحبيبِ ذي الجبهةِ المشرقةِ الواسعةِ والخدودِ المكتنزةِ والوجهِ المنيرِ الذي هيّجَ أحاسيسها وأضرمَ النارَ في فؤادها لذلك فهي سقيمةٌ وقد منحَ بحرُ الرملِ المجزوءِ السريعِ وروي الحاءِ المهموسِ المكسورِ الأبياتِ فاعليةً ورقّةً وخفّةً تناسبُ الغزلِ الحسي، ويندرُ وصفُ الشكلِ وأعضاءِ الجسدِ في الشعرِ النسويِّ فالمرأةُ تفضِّلُ سموَّ الطبعِ في الرجلِ. إنَّ (هيمنةَ الجسدِ الأنثويِّ في شعرِ الرجلِ يقابلهُ انصرافٌ عن جسدِ الرجلِ في شعرِ المرأةِ، فالمرأةُ تهتمُّ في شعرها بتصويرِ فضائلِ الرجلِ الخلقيّةِ والنفسيةِ وتبقي الجسدَ في الغالبِ بلا تصويرٍ أو برسمِ خطوطٍ بسيطةٍ والرجلُ في الغالبِ يقفُ عندَ كلّ عضوٍ من أعضاءِ الأنثى ليصفه) (٣٣) .

ب - القريب :

تجلى الآخرُ القريبُ الأخُ في شعرِ عليّة (٣٤) [من السريع] :

هَارُونَ يَا سَوْلِي وَقَيْتَ الرَّدَى قَلْبِي بَعْتَبِ مِنْكَ مَشْغُولُ
مَا زِلْتُ مُذْ خَلَفْتَنِي فِي عَمَى كَأَنِّي فِي النَّاسِ مَخْبُولُ

تخاطبُ الشاعرةُ أخاها هَارُونَ الرشيدَ عبرَ أسلوبِ النداءِ - يَا - والتشبيهِ وتدعوا له بالخيرِ والسلامةِ، فعند غيابه لا تبصرُ عيناها النورَ وتصابُ بالجنونِ وقد استعانتِ الشاعرةُ بصورةِ المجنونِ لتنتقلَ لنا حبّها الشديدَ للآخر - الأخ - وشوقها له. إنها (بنتُ خليفةٍ واختُ خليفَتينِ وزوجةُ أميرٍ لم يكنِ يضمنُ لها اشتهارِ السيدةِ ولا كرامةِ الأخبارِ ولا براعةِ الآثارِ لولا الشعرُ والغناءُ ولا سيما الغنا فأنّها بلغتُ فيه المحلَّ الأسمى من الإجابةِ والإيقانِ) (٣٥) .

وكان لابنِ الأخِ حضورٌ في خطابِ عليّة (٣٦) [من الكامل]:

يَا ابْنَ الْخُلَائِفِ وَالْجَحَاجِحَةِ الْعُلَى وَالْأَكْرَمِينَ مَنْاسِبًا وَأَصُولًا
بِالْمَكْرَمَاتِ وَحَصَلُوا تَحْصِيلًا الْأَعْظَمِينَ إِذَا الْعِظَامُ تَنَافَسُوا

تتمحور رؤية الآخر القريب وهو في مديح ابن أخيها الخليفة الأمين وهي تعبّر بصيغة الجمع يا ابن الخلائف - الأكرمين - أصولاً - الأعظمين - العظام - تنافسوا - المكرمات - للدلالة على عراقية نسب العباسيين وقد تنامت معاني المديح منطلقاً من حرف النداء - يا - في البيت الأول ولكن معنى المديح تقليدي لا يتجاوز الشجاعة والكرم (فقد كان لبعض النساء الحرائر ولجواني مدائح وصلنا منها القليل وضاع ضمن ما ضاع الكثير (...) ومع ذلك فلم يرد بين الشعراء المحترفين للمديح ذكر شاعرة أخذت من الشعر حرفة ومن المديح وسيلة للتكسب)^(٣٧).

ج - العاذل والرقيب والواشي :

واكب الآخر العاذل والرقيب والواشي مختلف عصور الأدب العربي وعانى الشعراء والعشاق من كثرة لومهم وعتابهم وفضولهم وهو ما زاد همومهم^(٣٨) [من المديد] :

نام عذالي ولم أنم واشتفى الواشون من سقمي
وإذا ما قلت بي ألم شك من أهواه في ألمي

تنقل لنا علياً صورتين الأولى للآخر الجمع - العذال - والثانية للذات المفرد - لم أنم - فضلاً عن الوشاة الجمع إذ سُرُوا لمرضها. وعبرت صيغة الجمع عن كثرة الذين اتصفوا بالنميمة، كما يتضح في النص الحقل الدلالي الطبي الخاص بمعاناة الشاعرة مثل :

اشتفى - سقمي - ألم ونقل لنا التضاد بين : نام - لم أنم - اشتفى - سقم أثر الوشاة والعذال - الآخر - في نفس الشاعرة لذلك نحس أن غزل الحرائر يعتريه الكبت والحلم واليأس (وأن طابع التشاؤم والحزن يكسوه ويغلب عليه فهن لا يتحدثن عن بهجة اللقاء أو الوصال فنقرأ فلا نجد وصفاً للقاء إذ لا لقاء للمرأة مع من تحب وهو إن ظفرت به لا يتعدى أن يكون لقاء خائفاً حذراً لا يتعدى النظرة الخاطفة التي لا تقدر على تثبيتها لأنها تخشى أن يلاحظها من حولها فتكون الفضيحة الكبرى)^(٣٩). وهذا بحسب ما أعتقد من أبرز أسباب ضعف الغزل النسوي ولا سيما إذا كانت الشاعرة تحتل مكانة إجتماعية وسياسية فلا يمكنها عندئذ التعبير عن خلجات النفس بعفوية علماً أن العصر العباسي كان عصر ازدهار الثقافي والحرية.

د - البخيل :

ذمت علياً سلوك البخيل قائلة^(٤٠) [من الرمل المجزوء] :

وأفص جودك في النأ س تكن فيهم إماما
لعن الله أبا البخ ل وإن صلي وصاما

ترفضُ الشاعرةُ صفةَ البخلِ في الآخر - الرجل - وتأمُرهُ بالكرمِ والعطاءِ لينالَ الصدارةَ وهي تذمُّ الرجلَ الذي يتخذ من الصلاةِ والصومِ غطاءً لعيوبِهِ، وقد كان الكرمُ قيمةً اجتماعيةً مهيمنةً في سلوكِ الفردِ عبر العصورِ الأدبيةِ لأجل التكافلِ الاجتماعي والتحذير من البخلِ ودمِهِ.

ثانياً - الآخر المرأة :

أ - الجارية :

لم يحتل حضورُ المرأةِ صدارةً وأهميةً في شعرِ عليّة فلم تلمح المرأةُ الأمّ، والمرأةُ الصديقةُ، والمرأةُ الأختُ.

وتتدرُّ الموضوعاتُ التي عبّرتُ من خلالها تجاه الآخر - المرأة - كقولها في الجارية طغيان^(٤١)] من الطويل [:

لطغيانَ خُفٍّ مذ ثلاثين حجةً جديداً فلا يُبلى ولا يتخرقُ
وكيفَ بلى خُفٍّ والدهرُ كُلُّهُ على قدميها في السماءِ معلقُ؟
فما خرقتُ خُفّاً ولم تُبلِ جورباً وأما سراويلُها فتمزقُ

ترسمُ الشاعرةُ صوراً ساخرةً لطغيان جارية أم جعفر زوجة أخيها الرشيد لأنها وشتت بعليّة الى رشاً وهو الخادم الذي تهواه عليّة وحكت عنها مالم تقله لذلك اتخذت الكناية والهجاء سلاحاً للسخرية ووصفتُ خُفّها وجوربها بأنّهما جديدان لأنها مستقلية على ظهرها دوماً لكنّ سراويلها ممزقة كناية عن سوء خلقها لأنّها بغية كما تمثل ذلك عبر الحقل الدلالي الخاص بالملبس مثل : خُف - جورب - سراويل ونلمح في تصوير الآخر شدة الإنفعال والبذاءة والمبالغة في السخرية لأنّ أسلوب الأنثى يتسم ب (الشخصي الذاتي الإنفعالي في مقابل أسلوب الذكر العصبي الخشن الموضوعي)^(٤٢)

وتكتُمُ المرأةُ في المجتمع العربي رغباتها الجنسية فتحتلّ موقعاً في اللاشعور وتظهر في الأحلام وشدة الإنفعالات كالغضب أو الفرح بعدما (تتعلم أن تكونَ جنسيةً ولا جنسيةً في الوقت نفسه وهذه الحالة تدفعُ البنتَ الطبيعية إلى الجنون أو الهستيريا)^(٤٣)

ب - الحبيبة :

يكثرُ في خطابِ عليّة الغزلُ بالمؤنث لتتخذ من هذا الأسلوب ستاراً تخفي به حقيقةً عشقها للرجل حياءً وخوفاً من سلطة المجتمع وهيمنة القانون الذكوري. لقد (كانت الثقافة النسائية نوعاً من الرق وتمثل قيمةً شرائيةً اضافيةً تزيد من سعر الجارية وتغري بتسويقها (...) وكيراً ما يحدث التكتّم عن اسم المرأة الحرة اذا ما صارت على قدرٍ من الثقافة المحتركة على الجوّاري مثل حال عليّة بنت المهدي)^(٤٤).

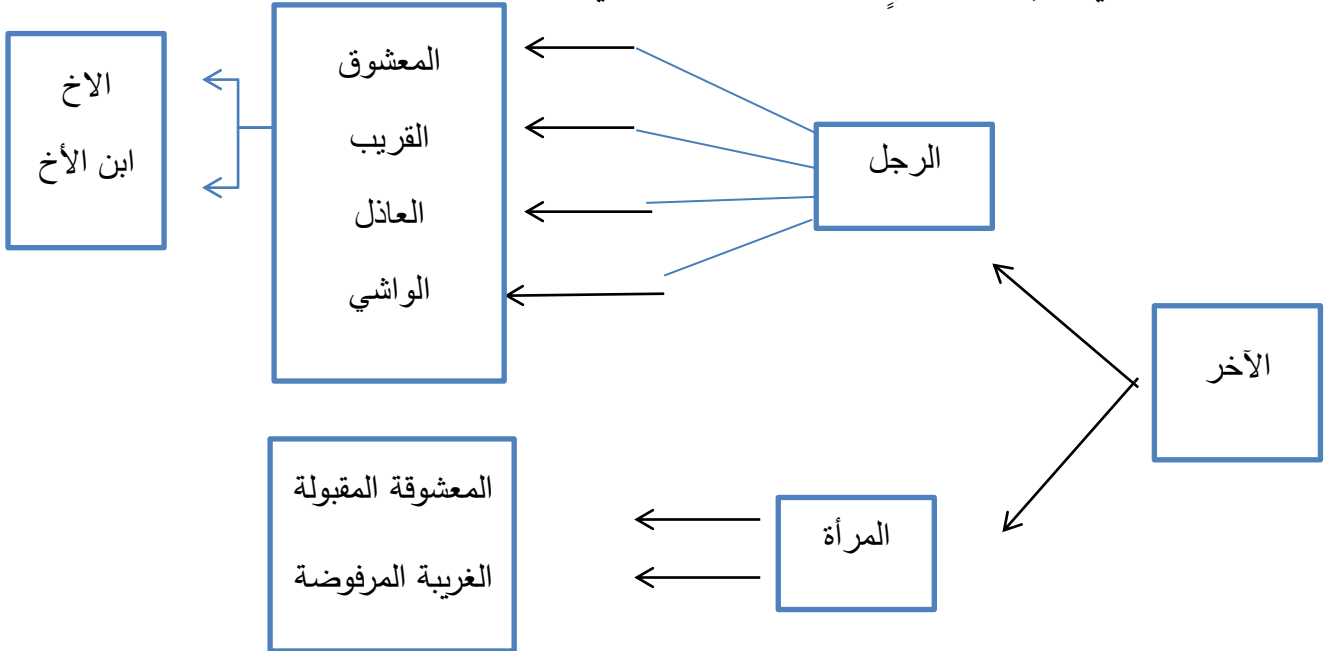
قالت عليّة^(٤٥) [من الكامل المجزوء] :

وجدَ الفؤادُ بزينباً وجداً شديداً متعباً
أصبحتُ من وجديها أدعي شقياً مُنصباً
ولقد كنيْتُ عن اسمها عمداً لكي لا تغضباً
وجعلتُ زينبَ سترَةً وأتيْتُ أمراً معجباً

يعلنُ الآخرُ المؤنثُ حضوره عبرَ الاسمِ العلمِ - زينب - الشخصية الرمزية التي اتخذتها عليّة وسيلة تمويهٍ مصورةً حرقَةً الهوى والعناءَ الشديدَ الذي سببهُ فلقد كتمتُ اسمَ الحبيب ليرضى واستعارتُ له اسمَ - زينب - لعلَّ في (تكتيتها عن تحب باسم فتاةٍ محاولة منها لتغطية الحقيقة أو ربما كان مجرد تنفيسٍ للعواطفِ المكبوتةِ والأحاسيس المحرمة. لقد تحملتُ من وطأة المجتمعِ ورضختُ له^(٤٦) .

ولا أوافقُ الجاحظَ في رأيه إذ يزعمُ أنَّ عليّة كانت تكم الهوى في قلبها ولا تذكرُ اسم حبيبها فهي من أكمل النساء عقلاً واحسنهن ديناً وصيانة ونزاهة^(٤٧) . وربما صرّح الجاحظُ بذلك ارضاءً للخلفاء العباسيين. ونحن نعلمُ أنَّ الخليفةَ العباسي هرون الرشيد منع عليّة من رؤية من تُحب وهذا الحرمانُ فجر شاعرية عليّة.

وردَ الآخرُ في شعرِ عليّة بصيغٍ عدةٍ بحسب الشكل الآتي :



وتشيعُ الثنائياتُ الضديةُ في القطبين المهيمين في شعر عليّة - الذات والآخر - مثل :

الحضور × الغياب
الإعلان × الكتمان
البعد × القرب
الاقبال × الإعراض
السير × المكوث
الذات × الآخر
اللذة × الألم
الرفض × القبول

الخاتمة

ترتكز اشعارُ عليّة بنتِ المهديّ على محوري الذات والآخر وما يصحبهما من لذة وألم وسعادة وشقاء، ولم ألمح الرؤى الفلسفية العميقة لدى الشاعرة ولقد اتسمت رؤيتها بالضيق والسطحية والذاتية. وأعتقد أنّ سبب ذلك ترف الشاعرة وبعدها عن المشكلات الاجتماعية والاقتصادية فأغلب معاناتها نفسية ونظمت اشعارها لأجل الغناء، فلقد كان أخوها إبراهيم بن المهدي مغنياً؛ لذلك نظمت أشعارها ما بين مقطّعة ونقطة وبيتية.

تمثلت الذات عبر انقسامها وقلقها على أنواع عدة كالذات الحزينة لأجل الحبيب والعاثية اللاهية بالنسب والذليلة لأجل المتعة والعاشقة لأجل الاستقرار والمتباهية بالنسب والذليلة لأجل الآخر الحبيب والخائفة والسقيمة في حال بعده.

أمّا الأغراض الشعرية التي انبعثت من خلالها ثنائية الذات والآخر فهي الغزل والمدح والهجاء والعتاب والخمريات والطبيعة.

وتمظهرت أنماطُ الآخر عبر الرجل - الذكر - كالمعشوق والقريب والعاذل والواشي، وعبر المرأة - الأنثى - كالمعشوقة المقبولة الممدوحة والغريبة المرفوضة المذمومة.

ومن خلال هذه الأنماط تشكّلت ثنائياتٌ ضديةٌ مثل : العبد و السيد. والحاكم و المحكوم. والقريب والبعيد، والفرد و الجماعة، والمؤنث والمذكر، والغائب والحاضر.

وشكّل حضور الآخر - الرجل - بؤرةً انفعاليةً تتطلّق منها المشاعرُ والأحاسيسُ عبر ثنائياتِ الماضي والحاضر، والأمر والمضارع، والصريح والضمني، والسرّ والجهر، ومن الجانب الفني تتسمّ الشاعرةُ بقصرِ نفْسها الشعريّ وهذا من أبرز سمات شعر عُليّة خاصة والشعر النسوي العباسي عامة،

وقد وظّفتِ الشاعرة البحورَ الطويلةَ كالسريعِ والرملِ والطويلِ والكاملِ والبسيطِ في أغلبِ اشعارها لاحتتمالها أنواعِ العواطفِ مستعينةً بالتضادِ و التكرارِ والنداءِ والتعجبِ والصورِ التشبيهيةِ والحسيةِ وبلغتِ واضحةً وبتركيبٍ سهلةٍ وهذا من أبرزِ السماتِ الأسلوبيةِ في شعرِ عليّة.

- (١) المعجم الفلسفي : د. جميل صليبا، مطبعة ذوي القربى، قم، ط١، ١٩٨٥م/ ٥٧٩.
- (٢) صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً اليه: تحرير الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م / ٣٧٧.
- (٣) الأنا والآخر الشخصية العربية والشخصية الاسرائيلية في الفكر الاسرائيلي المعاصر : عمر وعبد العلي علام، دار العلوم للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥م / ٩، ينظر: خطاب الذات: خطاب الآخر - في قافية تأبط شراً الدكتور عمار حازم محمد علي/ ١٠٠-١١٢، أسلوب الإيقاع الداخلي في شعر الاخضر اللهي (ت ١٠٥ هـ)، حسن إسماعيل خلف الحاج، مجلة جامعة تكريت/ ١٠٥ وما بعدها.
- (٤) صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاي العصر العباسي د. سعد فهد الذويخ، عالم الكتب الحديث، اريد، ط١، ٢٠٠٩م / ٩.
- (٥) الوافي بالوفيات : صلاح الدين خليل بن ايبك الصفي ت (٧٦٤هـ)، تحقيق أبو عبدالله جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٠م، ١٨ / ١٥.
- (٦) الأعلام : خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٧، ٢٠٠٧م، ٥ / ٣٤ - ٣٥.
- (٧) ديوان غلية بنت المهدي: شرح وتحقيق د. رحاب عكاوي، دار الفكر العربي ، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م/ ٦٩.
- (٨) المصدر نفسه / ٨٣.
- (٩) المصدر نفسه / ٩٠ - ٩١.
- (١٠) المرأة في أدب العصر العباسي : د. واجدة مجيد عبدالله الاطرقجي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م / ٣١٦.
- (١١) الديوان / ٨٨.
- (١٢) المصدر نفسه / ٧٧.
- (١٣) الرجل في شعر المرأة : د. عمر بن عبد العزيز السيف، دار الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م/ ٣١.
- (١٤) الديوان / ٥٧ - ٥٨.
- (١٥) المصدر نفسه / ٨٠.
- (١٦) المصدر نفسه / ٧٣.
- (١٧) الأنثى هي الأصل: د. نوال السعداوي، المؤسس العربية للدراسات والنشر، بيروت، د. ط، د.ت/ ٢٠ - ٢٠١.
- (١٨) الديوان / ٨٧.
- (١٩) المصدر نفسه / ٦٦.
- (٢٠) المصدر نفسه / ٦١.
- الحلفاء : النَّبْتُ الواحدة حَلْفَاء. معجم مقاييس اللغة: ابو الحسين أحمد بن فارس بن زكريات (٣٩٥هـ)، أعتنى به : د. محمود عوض مرعب، فاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٨م/ ٢٦١.
- (٢١) نساء شاعرات : مارون عبود، دار الأناقة الجديدة، بيروت، د. ط ، ٢٠٠٠م/ ١٩.
- (٢٢) الرجل في شعر المرأة : د. عمر بن عبد العزيز السيف، دار الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م/ ٢٧١.
- (٢٣) الديوان / ٤١.
- (٢٤) مقدمة الديوان / ١٣.

- (٢٥) الرجل في شعر المرأة : عمر بن عبد العزيز السيف / ١٧٠.
- (٢٦) المحاسن والأضداد : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت (٢٥٥هـ)، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٩٩٢م/ ١٣٧.
- (٢٧) الرجل في شعر المرأة : د. عمر بن عبد العزيز السيف / ٢٧٠.
- (٢٨) الديوان / ٦١
- (٢٩) سيدات البلاط العباسي : مصطفى جواد، دار الكشاف للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٠م/ ٢٥.
- (٣٠) الديوان / ٧٠.
- (٣١) المرأة في أدب العصر العباسي : د. واجدة مجيد الأطرقي / ٣١٨.
- (٣٢) الديوان / ٥٤.
- (٣٣) الرجل في شعر المرأة : د. عمر بن عبدالعزيز السيف / ٢٥٠.
- (٣٤) الديوان / ٨٢.
- (٣٥) سيدات البلاط العباسي : مصطفى جواد / ٢٥.
- (٣٦) الديوان / ٨٣.
- (٣٧) المرأة في أدب العصر العباسي: د. واجدة مجيد الأطرقي / ٣٤٧.
- (٣٨) الديوان / ٣٨٧.
- (٣٩) المصدر نفسه / ٨٨.
- (٤٠) المصدر نفسه / ٤٧.
- (٤١) مؤنث الرواية الذات، الصورة، الكناية : يسرى مقدم، دار الجديد، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م/ ١٩.
- (٤٢) الأنثى هي الأصل : د. نوال السعداوي / ١٥٢ - ١٥٣.
- (٤٣) المرأة واللغة : عبدالله محمد الغدامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٣، ٢٠٠٦م/ ٩٩ - ١٠٠.
- (٤٤) الديوان / ٥٠.
- (٤٥) المرأة في أدب العصر العباسي : د. واجدة مجيد الأطرقي / ٣٨٨.
- (٤٦) ينظر : المحاسن والأضداد : ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ت (٢٥٥هـ)، منشورات مكتبة الفرقان، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ / ٢٣٠.
- (٤٧) ينظر: أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام: عمر رضا كحالة، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٤٠م/ ٨٣ - ٨٤.

Sources and references

1. Al-Alam: Khair Al-Din Al-Zarkali, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, 17th edition, 2007 AD.
2. Women's Flags in the Arab and Islamic Worlds: Omar Reda Kahala, The Hashemite Press, Damascus, 1940 AD.
3. The Ego and the Other, the Arab Personality and the Israeli Personality in Contemporary Israeli Thought: Amr Abdel Ali Allam, Dar Al Uloom for Publishing and Distribution, 1, 2005 AD.

4. The female is the origin: d. Nawal El-Saadawi, The Arab Institute for Studies and Publishing, Beirut, without a class, without a date.
5. Diwan of Aliyah bint Al-Mahdi: Explanation and investigation: Dr. Rehab Akkawi, Arab Thought House, Beirut, 1, 2004 AD.
6. The man in women's poetry: an analytical study of feminine poetry and the representations of the masculine presence in it: Dr. Omar bin Abdul Aziz Al-Seif, Dar Al-Ansar Al-Arabi, Beirut, 1, 2008.
7. Ladies of the Abbasid Court: Mustafa Jawad, Dar Al Kashaf for Printing and Publishing, Beirut, 1950 AD.
8. The Image of the Other in Arabic Poetry from the Umayyad Era to the End of the Abbasid Era: Dr. Saad Fahd Al-Dhuwaikh, The Modern World of Books, Irbid, 1, 2009 AD.
9. The Image of the Arab Other as a Looker and Perspective: Edited by Taher Labib, Tunisian Association Publications, 1993 AD.
10. The feminine self-novel, image, writing: Yousra Mokaddam, Dar Al-Jadeed, Beirut, 1st edition, 2005 AD.
11. Advantages and opposites: Abu Othman Amr bin Bahr Al-Jahiz (d. 255 AH), House of Revival of Sciences, Beirut, 1992 AD.
12. Women in the literature of the Abbasid era: Dr. One Majid Abdullah Al-Atrakji, Dar Al-Rasheed, Baghdad, 1981 AD.
13. Women and Language: Dr. Abdullah Muhammad Al-Ghadami, Arab Cultural Center, Casablanca, 3rd edition, 2006 AD.
14. The Philosophical Dictionary: Dr. Jamil Saliba, The Kinship, Qom, 1st Edition, 1985 AD.
15. A Dictionary of Language Standards: Ahmad bin Faris bin Zakariya Al-Qazwini Al-Razi, d. (395 AH), investigated by: Abd al-Salam Haroun, Dar al-Fikr, Beirut, 1979 AD, Part Two.
16. Nozha Al-Jalasa in the Poetry of Women: Jalal Al-Din Abdul Rahman bin Kamal Al-Din Al-Khudayri Al-Assiouti (911 AH), investigation by Abdul Latif Ashour, Quran Library, Cairo, 1, 1986 AD.
17. Women poets: Maroun Abboud, House of New Elegance, Beirut, without edition, 2000 AD.
18. Al-Wafi in Deaths: Salah Al-Din Khalil bin Ibek Al-Safadi (d. 764 AH), investigation by Abu Abdullah Jalal Al-Assiouti, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, 1, 2010 AD.

periodicals

19. The Style of Internal Rhythm in the Poetry of Al-Akhdar Al-Lahbi (died 105 AH): Hassan Ismail Khalaf Al-Hajj, Tikrit University Journal, No. 26, 2019 AD.
20. The Discourse of the Self: The Discourse of the Other - in a rhyme that surrounds evil: Dr. Ammar Hazem Muhammad Ali, Journal of Tikrit University, Volume 14, Number 3, 2007 AD.